العوائق الابستمولوجية في دراسة المجتمعات الافتراضية –المنهج الإثنوغرافي أنموذجا

مباركة رحماني
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)،
العنوان الالكتروني mebarkarahmani10841@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/29 تاريخ القبول: 2022/11/06 تاريخ النشر: 2023/03/08

ملخص:

أصبحت المجتمعات الافتراضية أو "الإلكترونية" شكلا أساسيا من أشكال التواصل الإنساني ونوعا جديدا من أنواع التفاعل الاجتماعي ، الذي يتجاوز الحدود المادية والجغرافية ، مما شكل تحديا لعلماء الاجتماع والباحثين في مجال الاتصال والاعلام ودفعهم لإعادة التفكير في المناهج والأساليب التي كانوا يستخدمونها قبلا لتفسير الظواهر الاتصالية بالمجتمع التقليدي ، وسنحاول من خلال هاته الورقة البحثية الخوض في أهم العوائق الابستمولوجية التي تعترض الباحثين في دراسة المجتمعات الافتراضية وفهم وتفسير سلوك افرادها، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الإثنوغرافي كعينة من مناهج البحث في البيئة الرقمية حيث سنعمد إلى استعراض مكمن الصعوبة في البحث الاثنوغرافي و البحث في الأسباب التي تحول دون وصول الباحثين إلى نتائج مرضية ودقيقة ، مع اقتراح الحلول التي من شأنها تذليل صعوبات البحث بمجال الدراسات الاثنوغرافية.

كلمات مفتاحية: صعوبات ابستمولوجية، منهج اثنوغرافي، مجتمعات افتراضية

Abstract:

Virtual or "electronic" communities have become a fundamental form of human communication, and a new kind of wrap-up. Beyond physical and geographical boundaries, society has challenged social scientists and researchers in communication and information and led them to rethink the methods and methods that they had previously used to interpret traditional phenomena in traditional

society. Through this research paper, we will try to address the most important epistemological barriers for researchers in studying virtual societies and understanding and interpreting the behavior of their members, by relying on the ethnographic approach as a sample.

Key Words: Epistemological Difficulties, Ethnographic Approach, Virtual Communities

1. مقدمة:

أدى تطور الاتصالات , والاستخدام الواسع للكمبيوتر وما رافقه من ظفرات علمية إلى تحول كامل في العمليات الاجتماعية، خاصة بعد الانتشار الواسع للأنترنت، والذي نتج عنه تكون مجتمعات جديدة تقوم على التفاعل الافتراضي ،أين يتبادل افرادها المعلومات فيما بينهم في بيئة رقمية غنية بأنماط متعددة من المشاركة تختلف عن تلك الموجودة بالعالم الحقيقي، ويؤسسون فضاءات تواصلية أكثر اتساعا بفضل تكنولوجيا الأنترنت ويب 2.0 التي مكنت المستخدمين من الالتقاء ببعضهم البعض ،وألغت الحواجز الجغرافية والزمانية ،مما أدى الى ظهور سلوكيات ورموز ، وعادات جديدة لم تكن سائدة من قبل ،وحدثت اعادة انتاج للهويات الاجتماعية الى هويات رقمية . وقد أدى هذا التحول الجذري في الوسائط الاتصالية والاعلامية الرقمية الى اقتناع الباحثين بضرورة استحداث أدوات جديدة وتطوير الأدوات التقليدية حتى تتماشى مع خصوصية البحث العلمي في المجتمع الافتراضي ،واستكشاف العلاقات الاجتماعية لعمليات الانتاج الثقافي عبر الشبكة ،ولعل ابرز المناهج وأوسعها استخداما حاليا هو المنهج الاثنوغرافي الذي يهدف الى استكشاف العلاقات الخاصة بجماعة اجتماعية معينة في سياقاتها المختلفة وتفسير سلوكياتها على نحو افضل ، لكن استخدام الدراسات الاثنوغرافية لدارسة الظواهر الاعلامية والاتصالية لاسيما الحديثة منها يصطدم في الواقع بجملة من الصعوبات الابستمولوجية التي احيانا دون تحقيق الباحث لنتائج مرضية في عمله .

فما هي التحديات التي يواجهها الباحثون عند استخدامهم للمنهج الاثنوغرافي لدراسة المجتمعات الافتراضية ؟

وللإجابة على التساؤل المطروح آنفا يمكنا طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية

•ماهي أهم مبادئ المنهج الاثنوغرافي؟

.ما هي مزايا استخدام المنهج الاثنوغرافي في الدراسات الاتصالية التقليدية والدراسات الاتصالية في البيئة الرقمية الحديثة ؟

•كيف يتم تنفيذ البحث الاثنوغرافي بالمجال الرقمي وماهي أدواته ؟

•كيف يمكن مواجهة التحديات الابستمولوجية تعرض الباحث عند استخدامه للمنهج الاثنوغرافي في بحثه ؟

منهجية البحث

تنتمي دراستنا هذه للبحوث الاستكشافية حيث نهدف من خلالها إلى جمع المعلومات الأولية المتعلقة باستخدام النهج الإثنوغرافي في دراسة المجتمعات الافتراضية .وقد اعتمدنا بشكل أساسي على على الأدبيات السابقة التي تناولت هذا الموضوع من مختلف جوانبه، خاصة الدراسات الأجنبية منها.وذلك بغية التعرف على أهمية هذا المنهج في تحليل وتفسير الظواهر الاعلامية والاتصالية في البيئة الافتراضية وأهم التحديات المعرفية والمنهجية التي تصادف الباحثين اثناء قيامهم بالبحث وقد قمنا بتقسيم الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور رئيسية حيث خصصنا المحور الأول للحديث عن المنهج الإثنوغرافي وأهم مميزاته ،وأهم خطواته المنهجية وكيفية توظيفه في الدراسات الإعلامية والاتصالية.

في المحور الثاني تطرقنا للمنهج الناتنوغرافي من حيث نشأته ،وموضوعه، إضافة للمزايا المنهجية التي يوفرها هذا المنهج لدراسة المجتمعات الافتراضية ، وخطوات تنفيذه .

أما المحور الثالث فقد خصصناه للحديث عن التحديات التي تواجه الباحث الإثني وتقديم الاقتراحات التي من شأنها تذليل هذه الصعوبات والوصول لنتائج بحثية اكثر دقة ومصداقية

تحديد المفاهيم

- المجتمعات الإفتراضية وأهم مقوماتها

يعرّفها البا حث محمد منير حجاب في معجمه الإعلامي بأنه "مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا، ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الالكترونية، وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس بالولاء والمشاركةً ، ويعرفها سيرج بروكس (Serge Proulxبأنها: "مجموعة أفراد يستخدمون منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار الذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة(Lien d'appartenance) ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة . ومن أهم مقوماتها مايلي :

-قدرة المجتمع على الاستمرار إلى مدى زمني أطول من عمر الأعضاء، الذين يكوّنون ذلك المجتمع،.

-قدرة المجتمع على تجديد نفسه من خلال التناسل، من جهة، وعن طريق غرس ثقافته من خلال توافر نظام تربوي قادر على تحقيق التنشئة الاجتماعية للأعضاء الجدد..

-توفر مجموعة من المعايير المشتركة المنظمة للأفعال الاجتماعية للأعضاء، ومدى توافر الشعور بالولاء للمجتمع لدى هؤلاء الأعضاء.

-قدرة المجتمع على تحقيق الاكتفاء الذاتي والاستقلال النسبي، المنهج الإثنوغرافي (عبوب، 2018)

-2المنهج الإثنوغرافي (ماهيته، مميزاته ، خطواته، توظيفه بالدراسات الإعلامية والاتصالية)

تعني الإثنوعرافيا الدراسة "الوصفية" لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد، والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة..... إذن يتحدد مفهوم الإثنوغرافيا –اكاديمياً- بأنه: الوصف الدقيق والمترابط لثقافات الجماعات الإنسانية

أما المنهج الاثنوغرافي فيقصد به الدراسة الميدانية العلمية للظواهر الاجتماعية وذلك عن طريق اتصال الباحث الانثروبولوجي بموضوع البحث اتصالاً مباشراً يعيش فيه بين الجماعات المراد دراستها ويتعلم لغة الأهالي لكي يوثق صلته بهم. (علي، 2020)

2-1مميزات البحث الإثنوغرافي.

ينفرد المنهج الإثنوغرافي عن بقية المناهج، ببعض الخصوصيات الدقيقة التي ترتكز في معظمها على طبيعة العلاقة بين الباحث الإثنوغرافي و الميدان محل الدراسة، فهي علاقة مباشرة قائمة على الملاحظة بالمشاركة و المقابلة بمختلف أنواعها، كما أنه يتميز ب:أنه

•يقوم على دراسة حالة واحدة في مجتمع صغير أو جماعة معينة، مثل الاتصال غير اللفظي و دوره في التحصيل البيداغوجي لطفل الطور الابتدائي، هنا يمكن أن تكون الحالة، قسم من أقسام مدرسة من المدارس الابتدائية المتواجدة في محيط الباحث.

•يتم في البيئة الطبيعية للسلوك الإنساني، أي في البيئة التي يكون فيها سلوك المبحوث غير مُفتعلة و لا مصطنعة، مثل دراسة طبيعة الاتصال الجواري (بين الجيران) في المحيط الاجتماعي، هنا قد تكون البيئة المدروسة هي المقهى أو التجمعات داخل الحي، المسجد..

•يهدف إلى فهم السلوك الإنساني، و عن طريق ذلك الفهم يمكن الكشف عن المنطق الذي يبنى عليه المجتمع و المعنى الموزع

•يعطي تفاصيل دقيقة وعميقة، أو على الأقل هذا ما ينبغي أن يكون عليه المنهج الإثنوغرافي، فهو عمل دقيق و صارم و محدد لا يغفل أي تفاعل في الظاهرة أو أي شيء يمكنه أن يفسرها أو يفسر جانب من جوانبها.

•عدم وجود فرضيات سابقة، يرى البعض أن الظاهرة بالنسبة للباحث الإثنوغرافي، تعد علبة المفاجآت، أي أن ليس لديه فكرة مسبقة عن ما سيجده مسبقاً، فهو سوف يعتمد على الملاحظة لسلوك و السلوك لا يمكن أن نتنبأ به مسبقاً، و عليه فإن المنهج الإثنوغرافي لا يحتاج إلى فرضيات تحتاج إلى قياس.

•يعتمد المنهج الإثنوغرافي على الملاحظة المباشرة للباحث، و للوصول إلى هذا المبتغى، عليه أن يكون جزء من الظاهرة المدروسة و يلاحظ ما يحتاج بشكل مباشر دون وساطة، مثل الممارسات اللغوية في موقع التواصل الاجتماعي "الفايسبوك"، هنا يمكن للباحث أن يكون عضو في جماعة الفايسبوك و يقوم بملاحظة اللغة المستعملة للأفراد المشاركين. (تمار، 2018)

2-2خطوات المنهج الاثنوغرافي:

أ-الملاحظة"، وهي من أهم طرق البحث الانثروبولوجي، والملاحظة تعني ملاحظة الباحث للمجتمع المدروس في التعرّف على صفات وخصائص ما يدرسه من خلال وصفه له.

ب- العملية" وتكون العملية عادةً تلقائية غير مخططة، فهي صيرورة، ومن امثلة ذلك: "الزواج" فهو يتكرر حدوثه كـ"طقس" في مجتمع معين لثلاث مرات او اكثر خصوصاً إذا كان هذا المجتمع يتمتع بدرجة عالية من الوحدة والتجانس.

ج-الوصف :والذي يعد من اهم خطوات البحث الاثنوغرافي الذي يمارسه الباحث الاجتماعي، هنا يقوم الباحث بوصف ما يرى فقط وصفاً أميناً دقيقاً لما يحدث، وان لا يزيد شيئاً من عندياته او ما يمكن ان ينسجم مع أهوائه....

د- التحليل :ويتم بجمع المعلومات وربط العمليات مع بعضها البعض، وايجاد علاقات وصلات بينها، ونصل أيضاً عبر ذلك الى تحليل محتوى العلاقات وكيف يمكن ان تسير، وما هي درجة الانسجام والتناقض بينها؟.... وكذلك الآثار التي تترتب على ذلك. (علي، 2020)بتصرف.

2-3المنهج الإثنوغرافي في الدراسات الإعلامية والاتصالية

الإثنوغرافيا هي نهج قادر على فهم السياق والثقافة والفرق. وهي تنطوي على إمكانات خاصة لدراسة أساليب جديدة وسياقات متغيرة للاتصال والعمليات الاجتماعية المعقدة في مجتمع وسائط الإعلام ويوجه النهج الإثنوغرافي الباحث إلى إعادة النظر في الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المألوفة.. وهو يدرس مختلف جوانب وسائط الإعلام من غرفة الأخبار إلى شبكات واستخدامات وسائل الإعلام الاجتماعية. والتحليل الإثنوغرافي بارز في استكشاف سياقات وسائط الإعلام ، ولكنه يجلب أيضا أهمية التجربة الميدانية للباحث التي صيغت حسب الموقع والثقافة والجنس والعرق والطبقة والإثنية. وتشكل مسائل الإنتاج والمشاركة (Lotta Junnilainen، 2016)

تسعى الإثنوغرافيا الإعلامية إلى تطوير فهم الجماهير النشطة من خلال استكشاف قراءات النوع ، وقضايا العرق والجنس ، والحياة الأسرية ، والهوية ، من أجل فهم الإعلام باعتباره شكلاً ثقافياً وقد كانت البدايات الأولى لاستخدام المنهج الاثنوغرافي بالدراسات الاعلامية مع دافيد مورلي في أبحاثه حول التلقي في ثمانينات القرن الماضي، و بالذات في خضم الاقتحام المتزايد لتكنولوجيات الحديثة في الأوساط الأسرية ،فكان اعتماده على المنهج الإثنوغرافي، عبر أربعة محطات أساسية: إدراج مفهوم السياق المنزليdomestique في دراسة التلقي، تحديد مفهوم التلفزيون كتكنولوجيا منزلية، إختيار العائلة كوحدة التحليل و الديناميكية

كمفهوم عائلي، و أخيراً التوجهات المنهجية للباحثين نحو الآفاق الاثنوغرافية على اعتبار انها المقاربة الأنسب لدراسة عملية تلقي الرسائل الاعلامية من قبل الجمهور ووصف سلوكيات هذا الاخير وتفسير التمثلات الثقافية وصفا أعمق وأدق في ظل عجز الدراسات الكمية عن اعطائهم وصفا دقيقا للظواهر الاتصالية (تمار، 2018)

2-4مزايا استخدام المنهج الاثنوغرافي بالدراسات الاعلامية والاتصالية

قدمت الباحثة حياة قزادري المزايا المتعلقة باستخدام مجموعة البحث الانثوغرافي في دراسة الظواهر الاتصالية:

*يساعد في فهم الممارسات والتفاعلات الاتصالية

*يساعد في فهم الظاهرة الاتصالية في سياقات مختلفة و ديناميكية

*الحصول على وجهات النظر والآراء المختلفة

*ربط الظاهرة الاتصالية بإطارها الكلي الذي نشأت فيه الحصول على معارف صادقة وثابتة من خلال البحث المتعمق المتمركز على الاستبصار.

*فهم تأثير مختلف المشاكل الاتصالية على تكوين انماط التفاعلات وبناء المعاني داخل المجموعة الاتصالية ليقدم فهمها أعمق الثقافة السائدة

*التحليل الواقعي للظواهر الاتصالية وليس فقط من خلال التفسيرات النظرية

*يساعد في كشف التباين في السلوك الثقافي والاجتماعي بين مستخدمي وسائل الاتصال. (قزادري، 2019)

3-المنهج الإثنوغرافي الافتراضي (الناتنوغر افيا)

ظهرت الناتنوغرافيا في الولايات المتحدة خلال التسعينات ، عندما كانت الإنترنت لا تزال في بدايتها على أساس النص. وكانت معظم المجتمعات المحلية على الإنترنت مجموعات مغلقة قائمة على النصوص ووسائل الإعلام الاجتماعية ، و الاتصالات الأخرى بوساطة الحاسوب أقل اندماجا في الحياة اليومية مما هي عليه اليوم، ومن ابرز الابحاث في مجال الناتنوغرافيا بتلك الفترة نجد دراسات كوزينيتس لثقافة المعجبين (1998, 2002) والذي أبرز الحاجة إلى أساليب بحث محددة جيدا للتعامل مع الكميات الكبيرة من البيانات التي يتم توليدها على الإنترنت والمسائل الأخلاقية المرتبطة بالبحث في المجتمعات المحلية على الإنترنت ووجد أن

النتوغرافيا "منهجية بحثية رباعية جديدة تكيف تقنيات البحوث الإثنوغرافية مع دراسة الثقافات والمجتمعات الناشئة من خلال الشبكات الإلكترونية(Elisenda Ardévol, 2013) عالج كوزينيتس لاحقا (2010) التطورات المتعددة من خلال مناقشة التدوين ، والتغريد ، والتداول بالفيديو ، والبث الإذاعي ، والربط الشبكي الاجتماعي ، والحواجز الافتراضية. وأوضح أن أسلوب البحث النتوغرافي لا يزال يختلف عن الأشكال العديدة القائمة من الإثنوغرافيا على الإنترنت من خلال تقديم نهج تدريجي أكثر منهجية لمعالجة المسائل الأخلاقية والإجرائية والمنطقية الخاصة بالبحوث على الإنترنت (Leesa Costello, 2017)

3-1 .موضوع الناتنوغر افيا

يحاول علماء الأنثروبولوجيا الرقمية دراسة العلاقة بين ثقافة الإنسان من جهة وتقنيات العصر الرقمي من جهة أخرى؛ أي الكيفية التي تشكل بها التقنيات الرقمية الثقافة الإنسانية والمجتمع وتتشكل من خلالهما؛ لأن التقنيات الرقمية تؤثر وتتأثر بالثقافة الإنسانية وتقبُل المجتمع أو رفضه لها. وبعبارات أخرى تسعى الأنثروبولوجيا الرقمية إلى دراسة ونقد الأبعاد الاجتماعية والثقافية للظاهرة الرقمية في كل تجلياتها، مثل وسائل التواصل الاجتماعي والبيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي والطباعة ثلاثية الأبعاد والعملات الرقمية (بوطقطوقة، 2021، الصفحات 42-44)

3-2المز ايا المنهجية للناتنوغر افيا

-هي منهجية قابلة للتكيف بسهولة توفر مجموعة محددة من الخطوات والنهج التحليلية ،

-قابلة للتطبيق على نطاق واسع من المشاركة ويمكن ان تكون قصيرة ومركزة على مجتمع واحد أو تنطوي على سنوات من البحث داخل مجتمعات متعددة .

-تساعد على رصد مختلف أشكال الاتصال والتفاعل بين الافراد على الشبكة وتكوين صورة اوضح عن سلوكهم

-تعتبر أسلوبا بحثيا اكثر سرعة وفعالية خاصة من حيث التكلفة مقارنة بالأساليب التقليدية(المقابلات الشخصية، الجماعات المركزة (

-تساعد في تجاوز القيود التي تفرضها أبحاث المسح الكمي

-كسب ثقة المبحوثين بفضل عدم الكشف عن الهوية خاصة لدى الجماعات المهمشة والمعرضة للخطر

-امكانية نشوء التعاون والابتكار والكفاءة مع المشاركين بالمجتمعات الافتراضية (Leesa Costello، 2017)

-اكتسابه خصائص المنهج الاثنوغرافي من حيث المرونة فلا توجد آلية موحدة لجمع المعلومات وتحليلها فالباحث يكيف ما قد يجده في الميدان ويضفي عليه رؤيته الإبداعية من خلال قدرته على جمع اكبر عدد من المعلومات (تمار، 2018)

3-3خطوات تنفيذ البحث النانتوغرافي

أ-بناء الحقل الإثنوغرافي:

والمقصود به هو قدرة الباحث على نسج العلاقات مع المبحوثين بالفضاء الإفتراضي ، واكتساب مهارات التعرف على ثقافتهم، وميولاتهم، ورموزهم الخاصة ،وجمع البيانات عنهم سواء تم جمعها من المعلومات المتاحة على الشبكة، او من خلال التواجد الميداني مع المبحوثين واعتماد النهج التشاركي من خلال توظيف أداة الملاحظة ، وإجراء المقابلات، و يعد بناء الحقل الاثنوغرافي مرحلة هامة للباحث الإثني لأنه يتيح له التعرف بعمق على مجمتع بحثه مما يسهل عليه التغلغل ضمن افراده ويفتح له آفاقا أوسع للتحليل والتفسير.

ب-إجراء التعديلات باستمرار

إن العمل الميداني الرقمي يتطلب تعديلات في الكيفية التي يحدد بها الباحثون الموقع المناسب لأبحاثهم، وطريقة مراقبة المبحوثين ، إضافة للتعديلات التي تطال المواضيع البحثية ، كما ينبغي له مسايرة كل التغيرات التي قد تطرأ خلال البحث بالنظر للطبيعة الدينامية للمجتمعات الافتراضية وسرعة انتقال المعلومات وتدفقها بين المستخدمين

ج-تنفيذ العمل الميداني الرقمي

بعد بناء الحقل الاثنوغرافي وإجراء التعديلات المناسبة لموضوع البحث وموقعه وأدواته وتحديد الفئة المستهدفة داخل مجتمع البحث ، يقوم الباحث الإثني كخطوة أولى من عمله الميداني بتسجيل كل البيانات المتعلقة بموضوع بحثه على اختلاف مصادرها(سجلات صوتية ومرئية ، مكتوبة ، وأقراص الشاشة ، ملاحة أشرطة الفيديو أو كتب اجتماعية ، وبرمجيات ...) وتتم هاته العملية عبر طريقتين : الأولى أنهم يستخدمون مسجلات رقمية بصرية وصوتية ، أو دفاتر رقمية ، أو أجهزة حاسوبية ، لكتابة ملاحظاتهم الميدانية وذلك بغية تسجيل التفاعل الذي حدث مع المبحوثين والمحافظة عليه.

والثانية من خلال مراقبة المشاركين ، هذه المراقبة تحقق للباحث ثلاثة أهداف منهجية رئيسية :

أ-اكتساب حضور في الموقع الخاص بموضوع ومجتمع الدراسة.

ب-إعلام المجيبين عن اهتماماتهم البحثية من أجل الحصول على موافقتهم

ت- تكون هناك تجربة مباشرة للباحث مع التكنولوجيا التي يستخدمها المبحوثون ذلك لأن مراقبتهم تعتمد إلى حد كبير على مهارات الباحث في إدارة البيانات النصية والبصرية والحسية والحركية عند التفاعل مع المشاركين في موقع البحث .

د-تحليل البيانات الرقمية والوصف الإثنوغرافي:

ويقوم الباحث الإثني خلال هذه المرحلة بتحليل البيانات والمعلومات المحصل عليها للإجابة عن الإشكالات المطروحة في موضوع بحثه وذلك من خلال فهرسة ووصف وتصنيف هذه البيانات وربطها بالسياق الاجتماعي والاقتصادي والنفسي الذي تم انتاجها وتبادلها فيه من قبل المبحوثين" ومن الحتمي أن نميز بين الفئات التحليلية لإطارنا النظري والفئات التي تأتي مباشرة من الميدان ، أي بين المصطلحات والفئات والمفاهيم الغريبة والخيالية. وحرصا على الوضوح نقول إن دور علماء الإثنيات يتلخص في تفسير الكون المدروس تفسيرا مجديا ، مع الأخذ في الاعتبار الفئات العامية لمواضيعهم البحثية ، ووضع الأطر النظرية التي تساعد على تنظيمها ، حتى يتسنى لهم جلب البعض منها (Elisenda Ardévol، 2013)

-3-4 الصعوبات الابستمولوجية للبحث الناتنوغرافي وآليات مواجهتها

أ-الصعوبات

رغم المزايا العديدة والكفاءة المنهجية التي تمتاز بها البحوث الناتنوغرافية إلا أنها تواجه تحديات وصعوبات منهجية تحول دون وصول الباحث لنتائج علمية مرضية ومن بين أبرز هاته الصعوبات يمكننا إدراج:

*مشكلة صحة البيانات لمستخدمي الإنترنت :

حيث لا يمكن التحقق من دقة المعلومات المتعلقة بالعمر ونوع الجنس والجنسية وما إلى ذلك لأن" الإنترنت بطبيعتها معادية وغير شخصية وضحلة ، وهي لا تعطي سوى القليل من البيانات الصحيحة. ومن الأهمية بما كان معرفة من هم المشاركون ومحليتهم. لأن الأفراد بالبيئة الرقمية يمكن أن يأخذوا هويات متعددة وأن يكونوا في أي مكان في أي وقت. إذا كان

الباحث غير مدرك لهذه الهويات ، فقد يؤدي ذلك فقط إلى خلق انطباع زائف. كما يجري التساؤل عما إذا كان الباحث غير قادر على المشاركة ومراقبة المواضيع في بيئات العالم الافتراضي (Thi، 2016)

*تضييق الباحث لمساحة بحثه

حيث انه يختار موقعاً محدداً كأن يركز على مواقع محددة مثل غرف الدردشة ،او على شبكات اجتماعية معينة مثل فيسبوك أو تويتر أو غيرها من المدونات ،والتي توفر فهماً محدوداً للحياة اليومية والتقاطعات المختلفة بين المواقع والاستخدامات المختلفة ،وعلاوة على ذلك ، يستخدم الأفراد في المجتمع الحديث العديد من أدوات التفاعل الاجتماعي مثل الرسائل الإلكترونية وأدوات الويب 2.0 وغيرها من التطبيقات في نفس الوقت للتفاعل والتواصل

*تعرض البيانات للتلاعب الرقمي:

لأن المواد على الإنترنت يمكن أن تكون ديناميكية جدا و زائلة. ويمكن بسهولة نسخ المعلومات أو حفظها لاستخدامها وإعادة استخدامها في المستقبل. وفي بعض الأحيان تكون أيضا متاحة للجمهور على الإنترنت لبعض الوقت. بطبيعة الحال مما يجعلها عرضة للتلاعب الرقمي والتحريف

*حدوث المشاكل التقنية

مما يتسبب في بطء استجابة المبحوثين خاصة في حالة المقابلات الإلكترونية مما يؤثر على نتائج البحث لاحقا

*صعوبة التحكم في حجم العينة وتحديدها بصفة نهائية

نظرا لخصوصية المجتمع الافتراضي المتسم بعدم الثبات وعدم تجانس مجموعة المستخدمين، اضافة لغموض مستوى التفاعل بين افراد المجتمع محل الدراسة من حيث السطحية والعمق إضافة لاتساع الشبكة وتشابك المجموعات الافتراضية مع مجموعات اخرى أو اختفائها في كثير من الاحيان، كما انها قد تتجزأ وتتشرذم مما يصعب مهمة الباحث في تحديد عينة البحث بدقة. كما أن أفراد المجتمع محل الدراسة لا يحتلون بالضرورة نفس الموقع فمنهم من يشغل دورا مركزيا في المجموعة ومنهم من يكون مجرد عضو ثانوي أو مجرد متابع سلبي لا يظهر تفاعله .

*صعوبة تعميم النتائج بسبب اختلاف السياقات بين المجموعات الافتراضية

-قد يفتقر تحليل الباحث للخطابات المرسلة بين أعضاء المجموعة الافتراضية التي يقوم بمراقبتها إلى توظيف السياق المناسب الذي يتم فيه انتاج وتبادل المعلومات خاصة في حالة عدم تمكنه من تسجيل الخطابات السابقة للجماعة ذاتها. او أنه لا يوفق في فك شيفرة التواصل بين أفراد المجموعة وتفسيره الخاطئ للكلمات والرموز المستعملة.

*مسألة المصداقية

والتي تشير إلى الدرجة التي تكون بها النتائج قابلة للاعتراف بها وصحيحة من منظور المشاركين ، كما تشير قابلية الانتقال إلى الدرجة التي يمكن بها نقل النتائج أو تعميمها إلى سياقات وسياقات في حين أن الدراسات الإثنوغرافية غالبا ما تكون شاذة في طبيعتها ، وعلاوة على ذلك ، غالبا ما يكون هناك غرض استكشافي للدراسة لماذا يصعب التنبؤ بعدد الأفراد المهتمين بالدراسة. وعلى هذا فمن الصعب توليد عينة تمثيلية إحصائيا-Rahm) Skågeby, 2011)

ب-آليات مقترحة لمواجهة التحديات الابستمولوجية التي تواجه الباحث في الدراسات الناتنوغر افية

بعد إثارتنا لمسألة البحث الناتنوغرافي كأحد اهم مناهج البحث التي يعتمدها الباحثون لدراسة المواضيع المتعلقة بالمجتمعات الافتراضية وعرض مميزات هذا المنهج والتحديات التي تواجه الباحث الإثني بالبيئة الرقمية يتبادر إلى الذهن مجموعة من التساؤلات المشروعة ابستمولوجيا : كيف يمكن للباحث أن يقحم نفسه في مثل هذا المجتمع بنجاح ؟ وكيف يمكنه تطوير أدواته البحثية للتمكن من تحليل الاتصالات بوساطة الحاسوب فيما بين أفراد مجتمع معين وفك هيكلته بدقة ؟ وماهي المسائل هي يجب ان تشكل محور تركيز عند البحث الناتنوغرافي.؟

وللإجابة على الأسئلة السالف ذكرها يمكننا تقديم جملة من الاقتراحات كالآتي:

-حتى ينجح الباحث في جمع اكبر وأدق عدد ممكن من البيانات حول مبحوثيه بالمجتمع الافتراضي لابد له من أن يضع نفسه في الظروف ذاتها التي يعيشوها المبحوثون ويشاركهم كل الخبرات الاجتماعية.

-أن يسعى الباحث لضبط عينة البحث ،بحيث تكون ممثلة بشكل كاف للمجتمع الذي يقوم بدراسته بغية التحصل على نتائج أكثر دقة ومصداقية .

-الاعتماد على النهج الاستقرائي لتحديد العلاقات بين أفراد الشبكة وتحديد أدوارهم فلا يجب ان يكتفي الباحث بوصفهم إنما يتعين عليه ان يبحث بعمق عن الملامح الشخصية لهم وتحديد نوع المعلومات المتبادلة بينهم واسباب ودوافع هذا التبادل أي ينطلق من تحليله من الفرد كجزء إلى الكل الذي يقابله المجتمع الافتراضي محل الدراسة.

-العمل على التطوير المستمر للاستراتيجيات المتبعة لمراقبة المبحوثين ، والحرص على تكييف الأدوات البحثية مع خصوصيات المجتمع الافتراضي محل الدراسة اضافة لاعتماد التنويع بين المناهج المستخدمة في البحث بين التحليل النصي للخطابات الى تحليل الصور الثابتة والمتحركة وغيرها.

-اعتماد المشاركة الطويلة والملاحظة المستمرة حتى يتسنى للباحث أن يطلع بشكل كاف على ثقافة المجتمع محل الدراسة وذلك ما يجنبه لاحقا التفسير الخاطئ للمعلومات, كما يمكنه من اقامة علاقات متينة على الثقة مع المبحوثين, ويتحقق له بذلك شرط الاختراق الفعال.

-السعي لتعلم كافة الرموز والاختصارات واللغة التي يستخدمها المبحوثون داخل المجتمع الافتراضي محل الدراسة.

" -الحرص على عدم كشف هويته كباحث حتى لا يتعرض للعداء من طرف المجتمع الذي يقوم بدراسته ويسهل عليه التغلغل ضمن أفراده، و أن يتقن فن التعامل مع المبحوثين كل حسب شخصيته وميولاته

- الاعتماد على التحليل النوعي للبيانات ، باستخدام برامج مثل ATLAS.ti أو .NVivo "لأن هذه البرمجيات مفيدة في الحفظ ، والترميز ، والربط الفائق ، والمشاركة ، وتجديد المواد البصرية وغيرها من المواد الإثنوغرافية الرقمية (Elisenda Ardévol، 2013)

4- نتائج الدراسة

-تعتبر المقاربة الاثنوغرافية الأنسب للدراسات الاعلامية بالبيئة الرقمية نظرا لمرونة منهجها ، لأنها تمكن الباحث من تطوير أدواته البحثية بكل سهولة ,واستكشاف مختلف السياقات الاجتماعية والاتصالية التي يتم فيها انتاج وتبادل المعلومات بين أفراد الجماعة الافتراضية

-يواجه الباحث الاثني عدة تحديات إبستمولوجية عند قيامه بدراسات تتعلق بالمجتمعات الافتراضية أهمها : مسألة اختيار العينة المناسبة لتمثيل مجتمع الدراسة ,اضافة لمسألة صعوبة تحقيق شرط المصداقية الكافية للنتائج بسبب الفهم الناقص أو الخاطئ للرموز واللغة الخاصة المستخدمة بين أفراد المجتمع محل الدراسة اضافة لمشكلة التلاعب الرقمي والمشاكل التقنية.

-لمواجهة التحديات السالف ذكرها يجب على الباحث الاثني أن يطور أساليبه البحثية بشكل يسمح له بالتغلغل التام والناجح بين أفراد المجتمع الافتراضي الذي يقوم بدراسته ،والتحلي بالصبر لأن العمل الاثني يتطلب القيام بالملاحظات المستمرة والمراقبة المستغرقة لمجتمع البحث ,وسلوكيات أفراده وخطاباتهم ،حتى يكسب ثقتهم ويتعرف عن قرب عن عاداتهم ورموزهم المشتركة .

5-**خاتمة :**

إن المنهج الناتنوغرافي، باعتباره إمكانية الوصول إلى المعرفة بدراسة التجارب المشتركة بين المواضيع وسياقات التفاعل ، يضفي منظورا جديدا على الدراسة التجريبية لوسائط الإعلام ،لذا فإنه يتطلب نهجا علميا قادرا على توفير أدوات تساعد في استيعاب كافة التفاعلات الاجتماعية المعقدة على الإنترنت، وتوفير تفاصيل متعمقة وغنية للبحث تسمح لنا بالدراسة الوثيقة لوسائط الإعلام الرقمية في مختلف مجالات النشاط الاجتماعي، خاصة بعد ظهور مواضيع جديدة للبحوث على سبيل المثال ، العوالم الافتراضية ، والتي تفرض على الباحث الإثني أن يواكب كل التطورات الحاصلة بالفضاء السيبراني ويسعى لتطوير أساليبه البحثية والتمكن من التكنولوجيات الحديثة.

وختاما يمكن القول أن الدراسات المتعلقة بالمجتمعات الافتراضية تبقى بحاجة للتطوير المستمر بالنظر للطبيعة الدينامية التي تميز بيئة الويب 2.0 والعلاقات التشعبية بين المستخدمين وما تطرحه من اشكالات ابستمولوجية تتعلق بمسألة المعاينة والمصداقية والتحليل الدقيق للبيانات .

قائمة المراجع

1- محمد أمين عبوب ،(2018)،المجتمعات الافتراضية: أنماطها ومشكلاتها، مجلة علوم الإعلام والاتصال،العدد2 .متاح على الرابط https://diraset.com/node/110

2- محمد بوطقطوقة،(2021)، الأنثروبولوجيا الرقمية الانسان في عصر الثورة الرابعة، مجلة التقدم العلمي، العدد 113, pp. ص ص 42-44.

3- حياة قزادري،(30-31 ديسمبر 2019)،المنهج الإثنوغرافي كاتجاه منهجي في دراسة الظواهر الاتصالية الجديدة، بالملتقى العلمي الدولي المعاصر للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية والإدارية والطبيعية نظرة بين الحاضر والمستقبل-اسطنبول تركيا،

4- محمد علي، (2020). خطوات المنهج الاثنوغرافي.
https://www.aranthropos.com/%d8%ae%d8%b7%d9%88%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d9%85%d9%86%d9%87%d8%ac-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%ab%d9%86%d9%88%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d9%81%d9%8a/#comment-38792 Consulté le 11 08, 2021،

5- يوسف تمار ،(2018)، استخدام المنهج الإثنوغرافي في الدراسات الاعلامية الاتصالية. , https://temmaryoucef.blogspot.com/2020/12/blog-post.html ,Consulté le 11 05, 2021

6- Elisenda Ardévol .E. G.-C,(2013, 12 02), Digital Ethnography and Media Practices, https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1002/9781444361506.wbiems193 ,Consulté le 11 05, 2021.

7- Leesa Costello, M.-L. M,(2017, 04 04),Netnography: Range of Practices,. Misperceptions, and Missed Opportunities, https://doi.org/10.1177/1609406917700647 ,Consulté le 11 12, 2021.

8- Lotta Junnilainen, E. L ,(2016, 01 04). Media Ethnography, https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1002/9781118541555.wbiepc025 ,Consulté le 11 07, 2021.

9- Rahm-Skågeby, J. (2011, 01). Online ethnographic methods: Towards a qualitative understanding of virtual community practices. stockholm.

10- Thi, L.-S, (2016, 11). ETHNOGRAPHY IN THE CYBERSPACE: PROBLEMS AND PROSPECTS. Cyberjaya, Malaysia, https://www.researchgate.net/publication/309011185_ETHNOGRAPHY_IN_THE_CYBERSPACE_PROBLEMS_AND_PROSPECTS,cosulté le 04-11-2021